(٧٩)

مكاسب الحديبية

* ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

[سورة آل عمران: آية: ٦٤]

* ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾

[سورة البقرة: آية: ١٩٢]

* * *

obeikandl.com

«أرض جهينة بين العيص وذى المروة، مما يلى سيف البحر، على مقربة من ساحل البحر الأحمر، فيما يقابل المنطقة بين مكة والمدينة، وليس ببعيد عن طريق قريش إلى مكة.. أبو بصير عتبة بن أسيد بن حارثة، وقد اتخذ لنفسه وأصحابه الخمسة مقامًا أوى إليه فرارًا بدينه من ملاحقة ونكال طواغيت قريش، ورفعًا للحرج عن المسلمين ونبى الله أن يخلّوا بشرط صلح الحديبية ويقبلوا هجرته إليهم بعد أن أسلم.. ما إن يشيع بين من أسلم من ضعفاء مكة خبر مقام أبى بصير بسيف البحر، حتى يتسربوا واحدًا وراء الآخر للحاق به حيث يعسكر وصحبه.. لا يجدون عن ذلك بديلاً بعد أن عرفوا أن رسول الله ﷺ يحترم تعهده الذى قطعه لقريش بالحديبية..».

«تمضى الأيام بأبى بصير وصحبه فى مقامهم، فيزداد اطمئنان ضعفاء المسلمين بمكة إلى «الأمان» بسيف البحر، يزداد تسللهم من مكة تباعًا، وينفلت فيمن انفلتوا من مكة: أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يخرج فى نحو سبعين اهتدوا وأسلموا، فيلحقوا بأبى بصير بسيف البحر.. تتزايد أعداد هؤلاء اللائذين بساحل البحر حتى زادت على ثلاثمائة – فصاروا شوكة فى جنب قوافل قريش على طريق الشام، يتناقل الناس أخبارهم، وتروى حكايات بطولاتهم ظمأ

المتشوقين إلى الحرية، حتى ضجت مكة بما يجرى!!!».

«بسيف البحر، أبو جندل بن سهيل بن عمرو وقد تنازل له أبو بصير عن إمامة الناس إقرارًا بمكانته وفضله.. تتحرك قريحة أبى جندل فيسبك شعرًا تطير بروايته الركبان..».

أبو جندل : (منشدًا)

أبلغ قريشًا عن أبى جَندل ... أَنَّا بذى المَرْوة بالساحل
فى معشرٍ تخفق راياتُهم ... بالبِيض فيها والقَنا الذُّبلِ
يأبون أن تبقى لهم رُفْقَة ... من بعد إسلامهم الواصلِ
أو يجعل اللهُ لهم مخرجًا ... والحق لا يُغلب بالباطلِ
فيسلم المرء بإسلامه ... أو يُقْتل المرءُ ولم يأتلِ

* * *

«مكة – منتدى قريش بظاهر الكعبة وقد اجتمع رؤوس قريش يتداولون فيما يجرى.. ركبتهم الهواجس، ونهبهم القلق، واشتد بهم الكرب.. يتساءلون فى حيرة ما هذه القوة التى تتجسد فى هؤلاء الضعفاء بمجرد أن يسلموا؟!.. إن هؤلاء اللائذين بسيف البحر من الضعفاء، لا قوة ولا عزوة لهم، ومحمد بن عبد الله قد أوفى بوعده وعهده، فلم يقبلهم بالمدينة، ولم يمدهم بمدد، ولم يساعدهم بشىء، فمن أين لهم هذه القوة التى أقضوا بها مضاجعهم وهددوا قوافلهم، وملأوا بالخوف أيامهم ولياليهم؟!!.. ما هذا

السر العجيب فى الإسلام الذى يحيل هؤلاء المساكين والضعفاء إلى أشاوس ومغاوير؟!!».

قرشى : يا أبا سفيان، ألا من رأى تشير به علينا، أو أمر نصنعه يكف عنا هذا الخطر الذى يهدد عيرنا وتجارتنا؟

قرشى آخر : ما على هذا صالحنا محمدًا!!

ثالث : (بتعقل) ما لنا ومحمد؟! إن محمدا برىء من هذا!

رابع : صدقت.. هذه أفاعيل أبى بصير وأبى جندل ومن معهما!

الأول : ألم يكن أفضل لنا أن يلحق هؤلاء بمحمد، بدلاً مما ينفلتون فيه ويهددون به تجارتنا، لا يقيدهم العهد الذى قطعه لنا محمد يوم الحديبية؟!

أبو سفيان : (مستطلعًا فى تردد) أنكاتب محمدًا؟!

القرشيون : (متلقفين) أجل.

قرشى : لا حاجة لنا بهؤلاء الذين أسلموا، لو آواهم محمد لكان آمن لنا!

أبو سفيان : إذن نكتب إليه نعلمه بأنه لا حاجة لنا بهم، ونسأله بأرحامنا أن يؤويهم..

قرشى : (مضيفًا) زد على ذلك يا أبا سفيان.

أبو سفيان : فماذا تريد أن أزيد..

القرشى : قل لمحمد: «من خرج لنا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابًا لا يصلح إقراره..»

«يتصايح القرشيون موافقين مصادقين..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى ﷺ وسط صحابته من الأنصار والمهاجرين، وقد انصرف

لتوه مبعوث قريش بكتاب أبى سفيان الذى تطلب فيه قريش الرجوع عن شرط الحديبية، وتستحلف الرسول عليه السلام بالأرحام أن يقبل هؤلاء الركبان بالمدينة، وأن يلزمهم بالأمان الذى عقده ويعطيه – النبى ﷺ يشاور صحابته، ثم ينادى أحد الأنصار..».

الأنصارى : لبيك يا رسول الله..

«النبى عليه السلام يأمره ليكتب إلى أبى بصير وأبى جندل.. يتهيأ الأنصارى للكتابة مترقبًا ما سوف يمليه الرحمة المهداة..».

* * *

«بسيف البحر، وأبو بصير يحتضر وسط رفاقه وفيهم أبو جندل.. يصل الأنصارى بكتاب رسول الله ﷺ.. يفضه أبو جندل، ويناوله لأبى بصير ليقرأه..».

أبو بصير : (لأبى جندل وهو يغالب سكرات الموت) إن رسول الله يأمرنا أن نقدم عليه، وأن نأمر من اتبعنا من المسلمين أن يلحقوا بالمدينة أو يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم، وألا يعترضوا لأحد يمر بهم من قريش وعيراتهم..

المسلمون : نسمع لرسول الله ونطيع..

«تشتد خفقات أبى بصير، وتصعد روحه إلى بارئها وكتاب رسول الله لا يزال فى يده.. تنثال العبرات ويتشهد ويترحم عليه الحاضرون».

أبو جندل : (لأصحابه وقد تغشاه الحزن) ندفنه يرحمه الله حيث مات، ونجعل عند قبره مسجدًا يهتدى إليه الناس فى هجير الصحراء..

المسلمون : نفعل إن شاء الله..

«المسلمون يسترجعون ويكبرون ويتهيأون لوداع الراحل وتغييبه فى القبر الذى اختارت موضعه عناية السماء!!».

* * *

«المدينة، لا يكاد المسلمون يرتاحون أيامًا قليلات من رحلة الحديبية، إلاّ وتحمل الأنباء الآتية من الحبشة صفحات من الأحزان.. قد طال الفراق بالباقين هناك من المهاجرين، وتحرقت منهم وإليهم الأشواق.. هناك فيمن هاجرن: أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ولكنها لم تهاجر بمفردها.. وإنما خرجت رفقة زوجها عبيد الله بن جحش، ابن عمة رسول الله.. يومها خالفت أباها وأمها صفية بنت أبى العاص الأموية، وأسلمت مع زوجها عبيد الله والد حبيبة وهاجرت معه عبر البحر إلى الأرض الغريبة حيث يكرم النجاشى النصرانى لقاء ومعاملة المسلمين.. طالت بهما الأيام، وكانت خليقة بأن تحتملها وهى فى كنف زوجها الذى هاجرت معه.. ولكن ها هى الأخبار تأتى بأنه شرد وجنح وأخذ يعاقر الخمر

لا يتركها ولا تتركه، ثم ارتد عن دينه وأخذ يحاول أن يرد زوجته أم حبيبة عن الإسلام، فأبت واستعصمت.. لم تملك إلاّ الاغتراب عنه بأشجانها، فلم تعد تحل له بعد أن ارتد عن الإسلام.. تمضى الأيام بها وحيدة معتزلة مع صغيرتها حبيبة فى الحبشة، بينما طوت الخمر عمر زوجها كما طواه سكره وساقته إلى ما فيه من جنوح حتى مات صريعًا لها!!».

«ماذا عسى رملة أن تفعل وهى وحيدة معتزلة بابنتها حبيبة فى أرض غريبة!!».

* * *

«الحبشة.. أم حبيبة: رملة بنت أبى سفيان.. حزينة وحيدة بدارها، لا تشعر إلا بجارية للنجاشى تُدعى «أبرهة» تستأذن عليها..».

أبرهة : إن الملك يقول لك: وكلى من يزوجك من نبى العرب..

أم حبيبة : (تردد غير مصدقة) رسول الله؟!

أبرهة : قد أرسل إليه ليخطبك له..

أم حبيبة : ما تقولين؟!

أبرهة : يقول لك الملك: وكلى من يزوجك من نبى العرب، فقد أرسل إليه ليخطبك له!..

أم حبيبة : (تردد مذهولة) ما أبره وأكرمه!

«أم حبيبة تغمرها الفرحة، تخلع سوارين من فضة من معصميها وتقدمهما إلى «أبرهة» حلاوة البشرى.. تنصرف «أبرهة» عائدة إلى

النجاشى، بينما ترسل أم حبيبة فى طلب خالد ابن سعيد بن العاص بن أمية، كبير المهاجرين من قومها..».

* * *

«مجلس النجاشى بمقره.. وقد التأم إليه المهاجرون يتقدمهم جعفر بن أبى طالب وخالد ابن سعيد وكيل رملة..

النجاشى : (للمهاجرين) إن محمدًا بن عبد الله كتب لى أن أزوجه أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان.. (يستأنف) فمن أولاكم بها؟

المهاجرون : (يشيرون إلى خالد بن سعيد) خالد بن سعيد بن العاص.. قد وكلته عنها.

النجاشى : (لخالد بن سعيد) زوجها من نبيكم، وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار..

خالد بن سعيد : وقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وزوجته أم حبيبة..

«تشيع المسرات بين الحاضرين، ويأمر النجاشى فيولم لهم احتفالاً بما تم على يديه..».

* * *

«أم حبيبة بدارها، وقد أرسلت فى طلب «أبرهة» جارية النجاشى.. تدخل عليها أبرهة..».

أبرهة : (مبادرة) هذه هدايا نساء الملك إليك: من عود وعنبر وطيب.

أم حبيبة : طبت وطابوا وطابت هداياهم.. (تستأنف) أعطيتك بالأمس ما أعطيتك ولا مال بيدى، ولكن ها قد أتانى، (وهى تمد يدها بصرة) فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعينى بها..

أبرهة : (وهى ترد الصرة فى رفق) عزم علىّ الملك إلاّ أرزاك شيئًا..

«أبرهة تخرج السوارين فتردهما شاكرة إلى أم حبيبة..».

(تستأنف) إن الملك قد أجزل لى العطاء، وأمرنى ألاّ آخذ منك شيئًا..

أم حبيبة : أما لك من حاجة؟

أبرهة : حاجتى أن تقرئى منى السلام إلى رسول الله..

«تنصرف.. وعلى محيا أم حبيبة ابتسامة راضية..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، ذو الحجة من السنة السادسة للهجرة.. النبى ﷺ فى صحابته من المهاجرين والأنصار، وقد استقر عزمه أن يرسل بدعوة الإسلام إلى الأمراء والملوك حول شبه الجزيرة العربية.. يدعو عليه السلام إليه حاطب ابن أبى بلتعة من لخم، يريد أن يرسل به إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر، وشجاع بن وهب من بنى أسد، يريد أن يبعثه إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، ودحْية بن خليفة الكلبى، ليوفده إلى قيصر الروم، وسليط بن عمرو العامرى بن

لؤى لينتدبه إلى هَوْذة بن على الحنفى صاحب اليمامة، وعبد الله بن حذافة السهمى، ليحمل رسالته إلى كسرى، وعمرو بن أمية النضرى ليرسله إلى النجاشى بالحبشة... النبى – عليه السلام – يفضى إلى الصحابة وإلى المختارين بما يزمع ويريد، ثم يغادرهم إلى داره تاركًا إياهم يديرون بينهم ما يعن لهم من حديث..».

* * *

«المسجد النبوى فى الغداة.. يدخل النبى ﷺ إلى صحابته فيبادرهم..».

النبى : (للصحابة) إنى بعثت رحمة وكافة، فأدوا عنى يرحمكم الله، ولا تختلفوا علىّ كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم..

الصحابة : يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم؟

النبى : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه، فأما من قرب به فأحب وسلم، وأما من بعد به فكره وأبى..

«المسلمون حائرون، لا يعرفون إلام يرمى الرحمة المهداة!..».

«بعد أيام.. المسجد النبوى بالمدينة، وقد التأم جمع رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء ورؤساء العشائر بعد أن تجهزوا بزادهم وأعدوا رواحلهم.. يجتمعون بالرحمة المهداة ليتلقوا كتبه وتعليماته إلى حيث أوفدهم.. النبى – عليه

السلام – يدعو إليه عبد الله بن حذافة السهمى..
مبعوثه إلى كسرى بفارس..».

عبد الله بن حذافة السهمى: لبيك يا رسول الله..

النبى : (يملى على أحد شبان الأنصار) بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنى رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًّا، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس..

«النبى – عليه السلام – يعطى الكتاب إلى عبد الله بن حذافة، ويدعو إليه عمرو بن أمية الضمرى مبعوثه إلى النجاشى بالحبشة..».

عمرو بن أمية الضمرى: لبيك يا رسول الله..

النبى : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحى، والسلام على من اتبع الهدى.

«النبى عليه السلام يناول كتابه إلى عمرو ابن أمية الضمرى، ويدعو إليه دحية بن خليفة الكلبى مبعوثه إلى هرقل..».

دحية بن خليفة الكلبى: لبيك يا رسول الله..

النبى : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين (أو الأكارين أى إثم الرعية). ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: آية: ٦٤]

«النبى – عليه السلام – يناول الكتاب إلى دحية بن خليفة الكلبى، ويدعو إليه شجاع بن وهب مبعوثه إلى الغساسنة وأميرهم المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى..».

شجاع بن وهب : لبيك يا رسول الله..

النبى : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر بن الحارث الغسانى. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق. وإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك.

«النبى – عليه السلام – يناول الكتاب إلى شجاع بن وهب، ويدعو إليه حاطب بن أبى بلتعة مبعوثه إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر..».

حاطب بن أبى بلتعة : لبيك يا رسول الله..

النبى : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط.. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

«النبى – عليه السلام – يناول الكتاب إلى حاطب، ويدعو إليه سليط بن عمرو العامرى، مبعوثه إلى هَوْذة بن على – زعيم بنى حنيفة باليمامة..».

سليط بن عمرو العامرى: لبيك يا رسول الله..

النبى : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هوذة بن على الحنفى. سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (سيعم العالم) فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يدك..

«النبى – عليه السلام – يناول الكتاب إلى سليط العامرى، ويدعو عليه السلام باقى مبعوثيه إلى القبائل فى الشمال والجنوب، فيملى عليه السلام إلى كل منهم كتابه.. بينما يتهيأ المبعوثون للخروج لإنفاذ أمر رسول الله وإبلاغ كتبه إلى حيث أراد..».

* * *

«المدينة، وقد أخذ المنافقون يدسون للأنصار أن أمر الإسلام قد انتشر حتى ذهبت كتبه إلى بقاع الأرض، ولم يعد بالإسلام حاجة إلى نصر.. يقولون للأنصار محرضين إياهم على إمساك أموالهم: إن أموالكم قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام فلا حاجة به إلى إنفاقكم!!».. تخيل الخدعة على البعض فيقولون لأنفسهم: «لو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ماضاع منها؟!! قد أعز الله الإسلام وَكَثُر ناصروه!!».

«النبى – عليه السلام – فى خلوته يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: آية: ١٩٥]

(يرتفع الوحى)

* * *